﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ ﴿٣٣﴾ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ ﴿٣٤﴾ أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ ﴿٣٥﴾﴾ [النجم: 33 - 35]

❁ مُناسَبَةُ الآياتِ لِما قبلَها:

بعد النَّهي عن تزكيةِ النفس جاءَ التعجيبُ ممَّن ارتدَّ عن الإسلام

لَمّا أمرَ سبحانه النَّبيَّ ﷺ بالإعراض عمَّن تولّى عن التَّشرُّف بذكر الملك الأعظم واللجوء إليه، ونهى عن التزكية للجهل بالعواقب، وكان قد ارتدَّ ناسٌ عن الإسلام، كان سببُ ارتدادهم إخبارَه ﷺ عن بعض ما رأى من الآيات الكبرى ليلة الإسراء، وكان لَمّا نزلت عليه ﷺ سجدة النجم وسجد فيها، وسجدَ معه - كما في البخاري - المسلمون والمشركون والجنُّ والإنس، ولم يكنْ في ظنِّ أحدٍ من الخلق انقلابهم على أدبارهم، ولا في ظنِّ المرتدين؛ سبَّب عن ذلك قوله: ﴿أَفَرَءَيْتَ﴾[1]، فبعد أنْ بيَّن اللهُ سبحانه سعةَ علمه وقدرته الفائقة على إيقاع الجزاء يوم القيامة بأهل الإساءة والإحسان، وبَيَّنَ جَهْلَ المُشركينَ في عِبادةِ الأصنامِ؛ ذَكَر على سبيل التعجيب والتقريع واحِدًا منهم مُعَيَّنًا بسوءِ فِعْلِه، فقال: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ﴾[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿وَأَكْدَىٰٓ﴾: أصلُ (كدي) يَدُلُّ على صَلابَةٍ في شَيءٍ، وشدَّة، فالكُدْيَةُ: صَلابَةٌ تَكونُ في الأرْضِ، يُقالُ: حَفَرَ، فأكْدَى، إذا وصَلَ إلَى الكُدْيَةِ، واستُعير ذلك للطالب المخفق، والمعطي المقلِّ، يُقالُ لِلرَّجُلِ؛ إذا أعْطَى يَسيرًا، ثُمَّ قَطَعَ: أكْدَى، وقيل معنى أكدى: قلَّل عطاءه وبخل، شُبِّهَ بالحافِرِ يَحْفِرُ، فيُكْدي، فيُمْسِكُ عَنِ الحَفْرِ[3]، ومعنى

(1) البقاعي، نظم الدرر: 19/ 70.

(2) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 17/ 111، وابن عادل، اللباب: 18/ 200، والزحيلي، التفسير المنير: 27/ 127.

(3) ابن فارس، مقاييس اللغة، والراغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب: (كدى).

﴿وَأَكۡدَىٰٓ﴾: أعطى قليلًا، ثم قطعَ العطاءَ، فلا يُعطي شيئًا؛ إشارةً إلى بخله[1].

2) ﴿ٱلۡغَيۡبِ﴾: مَصْدَرُ الفعل (غابَ يغيبُ غَيْبًا)، والغيبُ: كلُّ ما غابَ عنك، وأصله يدلُّ على تَسَتُّرِ الشَّيءِ عنِ العُيون، فكُلُّ ما غابَ عَنِ العيونِ، سواءٌ كانَ مُحَصَّلًا في القلوب، أمْ غَيرَ مُحَصَّلٍ؛ فهو غيبٌ[2]، ويُطلق الغيبُ على المُطْمَئِنِّ مِنَ الأرضِ[3]، وهو ما انخفضَ مِنْها، وهو راجِعٌ إلى الأوَّلِ؛ إذِ الدّاخِلُ في مُطمَئِنِّ الأرض يكونُ غائبًا مَخفيًّا عَنِ العيونِ[4]، ومعنى: ﴿عِلۡمُ ٱلۡغَيۡبِ﴾ في الآية: مَعْرِفَةُ العَوالِمِ المَغيبَةِ[5].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

تـوبـيـخُ مَـن تـولّى عـن طاعةِ الله، وبَخِلَ في العطاء، وآثَرَ الكفر

ذمَّ اللّهُ تعالى، ووبَّخ مَن تولى عن طاعة الله، فقال مخاطبًا النَّبيَّ ﷺ على سبيل التعجيب: أعلمتَ، وأخبرتَ شأنَ الذي تولّى عن الخير، وأعرضَ عن اتِّباع الحق، وأعطى قليلًا من المال، ثم أحجمَ عن العطاء في سبيل أنْ يتحمَّل عنه غيره وزره، أفعند هذا الكافر الَّذي آثرَ الكفرَ على الإيمان علمَ ما غاب عنه من أمر العذاب، فهو يعلم أنَّ صاحبه يتحمَّل عنه أوزاره يوم القيامة؟ ليس الأمر كما يظنُّ[6].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

بلاغة التعبير بالاستفهام في: ﴿أَفَرَءَيۡتَ﴾:

استفهامٌ تقريريٌّ تعجُّبيٌّ يحملُ التهييجَ والإثارةَ والتَّشويقَ نحو المستفهَم عنه

الهمزةُ في قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيۡتَ﴾؛ للاستفهامِ التَّقريري

(1) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 22/ 542، والآلوسي، روح المعاني: 14/ 64، وابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 128.

(2) الجوهريّ، الصّحاح، والأزهريّ، تهذيب اللّغة، وابن فارس، مقاييس اللّغة، وابن منظور، لسان العرب، والرّاغب، المفردات: (غيب).

(3) الفيروزابادي، القاموس المحيط: (غيب).

(4) ابن عطيَّة، المحرَّر الوجيز: 1/ 84.

(5) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 128.

(6) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 22/ 541، والزحيلي، التفسير المنير: 27/ 128.

والتعجُّبي[1]، والمرادُ من الاستفهامِ استحضارُ صورةِ المُستَفْهَمِ عنه في الذِّهن؛ ليُحكمَ عليها، وهي حاضرةٌ ماثلةٌ فيه، فيحمل هذا الاستفهامُ التهييجَ والإثارةَ والتَّشويق نحو المستفهَم عنه، واستحضار صورته، ومِن ثَمَّ الحكم عليه، حتى إذا ما حُكم عليه تمكَّن الحكمُ في النَّفس بكلِّ قوَّة[2].

معنى الفاء ودلالتها في قوله: ﴿أَفَرَءَيْتَ﴾:

بعد بيان الله لجزاءِ المحسن والمسيء تفريعٌ وتعجيبٌ مِن انحرافِ مَن تولّى

الفاءُ لتَفريعِ الاستِفهامِ وما بعْدَه على ما سبق، أي: لتفريع الاستفهام التعجُّبي على قوله: ﴿لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَـٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى﴾؛ إذ كان حالُ هذا الذي تولّى، وأعطى قليلًا، وأكدى جهلًا، بأنَّ للإنسان ما سعى، وقد حصل وقت نزول الآية حادثٌ أنبأ عن سوء الفهم لمراد الله من عباده مع أنَّه واضحٌ لمن صرف حقَّ فهمه، ففُرِّع على ذلك كلِّه تعجيبٌ من انحراف أفهامهم[3]، ويحتملُ أنْ تكون الفاءُ عاطفةً على محذوف مقدَّر، والتقدير: أفكَّرتَ يا محمد في شأن هؤلاء المعاندين، فرأيت الذي تولى[4]؟ فالفاءُ تقتضي كلامًا يترتَّب على ما تقدَّم من بيانِ علم الله وقدرته، ووعده المسيء والمحسن بالجزاء، وتقديره هو أنَّ الله تعالى لَمّا بيَّن أنَّ الجزاءَ لا بدَّ من وقوعه على الإساءة والإحسان، وأنَّ المحسنَ هو الذي يجتنبُ كبائرَ الإثم، فلم يكنِ الإنسانُ مستغنيًا عن سماع كلام النبي ﷺ وأتباعه، فبعد هذا من تولى لا يكون تولّيه إلّا بعد غاية الحاجة ونهاية الافتقار[5].

(1) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 128، ودرويش، إعراب القرآن وبيانه: 9/ 365، والهرري، حدائق الروح والريحان: 28/ 161.
(2) المطعني، التفسير البلاغي للاستفهام: 4/ 184.
(3) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 127.
(4) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 9/ 365، والهرري، حدائق الروح والريحان: 28/ 182.
(5) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 29/ 273.

دلالة التعبير بالماضي: ﴿أَفَرَءَيْتَ﴾:

تحقُّقُ الرؤية وتأكُّدها أبلغُ في التقرير والتعجيب

التعبيرُ بصيغة الماضي أبلغُ في التقرير والتعجيب، وقوله: ﴿أَفَرَءَيْتَ﴾ أسلوبٌ قرآني يُفتتحُ بمثله الكلام الذي يُراد تحقيقه والاهتمام به، وقد دلَّ التعبيرُ بالماضي على تحقُّق رؤيةِ الحدث وتأكُّده، فكأنَّ المخاطَب قد رأى هذا الحدث وعاينه بنفسه، وهو أمرٌ محسوس معلوم.

الغرض من التعبير بالموصول ﴿ٱلَّذِى﴾:

المقصودُ بالموصول شخصٌ بعينه أو ما سبقَ ذكره

عبَّر النَّصُّ القرآنيُّ بالاسم الموصول ﴿ٱلَّذِى﴾، في قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ﴾؛ لأنَّ المقصودَ شخصٌ بعينه، أي: المراد به معيَّن، مع اختلاف المفسِّرين في تعيينه، هل هو الوليد بن المغيرة أو غيره؟ والتعبير بـ﴿ٱلَّذِى﴾ دون (مَن)؛ لأنَّ ﴿ٱلَّذِى﴾ أظهرُ في الإطلاق على الواحد المعيَّن دون لفظ (مَن)[1]، أو عبَّر بالموصول؛ لأنَّه عائدٌ إلى مذكور، فإنَّ اللهَ تعالى قال من قبل: ﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا﴾ وهو المعلوم؛ لأنَّ الأمرَ بالإعراض غير مختصٍّ بواحد من المعاندين، فقال: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ﴾، أي: الذي سبقَ ذكره[2]، فالموصولُ ﴿ٱلَّذِى﴾ يعودُ إلى المستفهَم عنه، وهو الذي تولّى عن طاعة الله بعد الاشتغال بها.

الغرض من حذف متعلِّق الفعل ﴿تَوَلَّىٰ﴾:

في الحذف إيجازٌ واتِّساعٌ في المعنى

حُذِفَ متعلِّقُ الفعل ﴿تَوَلَّىٰ﴾، في قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ﴾؛ إيجازًا لكونه مفهومًا من السياق، فإنَّ الله تعالى قال من قبل: ﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا﴾، وكذلك في الحذف إفادةُ العموم، فيكون التقدير: الذي تولّى عن الإيمان بالله، وعن طاعته بعد الإقدام عليها، وتولّى عن ذكر الله والقرآن وما جاء به النبي ﷺ، وعن اتِّباع الحقِّ والثبات عليه[3].

(1) ابن عادل، اللباب في علوم الكتاب: 18/ 201، وابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 127.
(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 29/ 273، وابن عادل، اللباب في علوم الكتاب: 18/ 201.
(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 8/ 162.

دلالة التعبير بالماضي: ﴿تَوَلَّىٰ﴾:

في تحقيق التولي وإثباته تقبيحٌ لفعله وتنفيرٌ منه

عبَّر البيانُ القرآنيُّ بصيغة الماضي ﴿تَوَلَّىٰ﴾، في قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ﴾؛ لإفادة تحقُّق ذلك الفعل منه ممّا يؤكِّد ذمَّهُ، وتقبيحَ فعله، والتنفير منه.

بلاغة التعبير بالاستعارة التصريحيَّة في: ﴿تَوَلَّىٰ﴾:

تصويرُ حالِ المعرض بصورةٍ حيَّةٍ إظهارٌ لقباحة فعله

في قوله تعالى: ﴿تَوَلَّىٰ﴾ استعارةٌ تصريحيَّة تبعيَّة؛ إذ استعارَ الإدبار والإعراض لعدم الدخول في الإيمان، فاشتقَّ من (التولّي) - بمعنى: عدم الإيمان - (تولّى) بمعنى: أعرض عن الإيمان، على طريقة الاستعارة التصريحية التبعية[1]، فقد صوَّر حالَ المعرضِ عن الحقِّ بمَن يتولّى، ويدبر، فحذفَ المشبَّه (المُعرض)، وصرَّح بالمشبَّه به (التولّي)، ممّا يعطي صورة حيَّة للإعراض عن الإيمان باللّٰه، وكأنَّه يرى المعرضَ يُديرُ ظهره للحقِّ، ويدبرُ عنه، فيزيد قباحة هذا الفعل وبشاعته.

دلالة العطف بالواو ﴿وَأَعْطَىٰ﴾:

مزيدُ ذمٍّ وتوبيخٍ على جمعه بين الذَّميمتين (التَّولّي والبخل)

عطفَ البيان القرآني قوله: ﴿وَأَعْطَىٰ﴾ على قوله: ﴿تَوَلَّىٰ﴾ بالواو؛ لإفادة الجمع بين الذميمتين: (التولّي) و(البخل)، وفي هذا الجمع مزيدُ ذمٍّ وتوبيخ وتعجيبٍ من فعل هذا المعرِض المدبِر عن الإيمان.

دلالة التعبير بالفعل الماضي ﴿وَأَعْطَىٰ﴾:

عطاءٌ متحقِّقٌ، لكنَّه قليلٌ وناقصٌ، يتناسبُ مع بخله، وما يستحقُّه من الذَّمِّ

أتى التعبيرُ بالفعل الماضي ﴿وَأَعْطَىٰ﴾؛ للدَّلالة على تحقُّقِ الفعل وانتهائه، وأنَّ هذا الشخصَ الكافر قد أعطى بالفعل، ولكنَّ عطاءه انتهى بسرعة، فلم يزدْ على ذلك القليل شيئًا، وهذا يتناسبُ مع السياق الذي يصفُ حاله وبخله، فهو لم يستمرَّ في العطاء، بل بخلَ، وتوقَّف، وفي هذا مزيدٌ من الذَّمِّ والتوبيخ له.

(1) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 9/ 369، والهرري، حدائق الروح والريحان: 28/ 188.

سرُّ الوصف بـ﴿قَلِيلًا﴾ والغرض من تنكيره:

عـطـاؤُه الحقيرُ التـافهُ الـذي لا يُذكـر دليلٌ على بخله الشديد

﴿قَلِيلًا﴾ في قوله: ﴿وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا﴾ إمّا صفة لمصدر محذوف، والتقدير: أعطى شيئًا قليلًا، أو عطاءً قليلًا، أو مفعول به لـ(أعطى)، وقد وُصِف العطاءُ بأنَّه قليل؛ توطئةً لذمِّه؛ بأنَّه مع قلَّة ما أعطاه قد شحَّ به فقطعه[1]، ونكَّر البيانُ القرآنيُّ ﴿قَلِيلًا﴾؛ للدَّلالة على التقليل الشديد والتحقير لهذا المُعطَى، أي: ما أعطاه كان شيئًا تافهًا لا قيمةَ له، كأنَّه شيءٌ لا يُذكر، ممّا يدلُّ على بخله، وهذا يتناسبُ مع قطعه العطاء (أكدى)، وفي هذا كلِّه مبالغةٌ في ذمِّه.

دلالة العطف بالواو في ﴿وَأَكْدَىٰ﴾:

مـن جـمـع بين الـبـخـل ومـنـع العطاء مستحقٌّ للذمِّ الشديد

في قوله تعالى: ﴿وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰ﴾ عطفَ قوله: ﴿وَأَكْدَىٰ﴾، على قوله: ﴿وَأَعْطَىٰ﴾ بالواو؛ لإفادة جمعه بين هذين الفعلين الشنيعين اللَّذين يستحقّان الذمَّ الشديد، فهو لم يكتفِ بالبخل، بل قطعَ العطاء تمامًا بعد هذا القليل الحقير، فهذه مذمَّةٌ ثانيةٌ بالبخل زيادةً على إعراضه عن الإيمان وثباته على الكفر، فحصلَ التَّعجيب من حاله كلِّه؛ تحقيرًا لعقله وفساد رأيه[2].

دلالة التعبير بالفعل الماضي ﴿وَأَكْدَىٰ﴾:

تـحـقُّـقُ وقـوعِ الإكـداء مـمَّـن تـولّى تأكيدٌ على شدَّة بخله

عبَّر البيان الحكيم بالفعل الماضي ﴿وَأَكْدَىٰ﴾؛ للدَّلالة على تحقُّقِ وقوع هذا الفعل وتأكُّده منه، وهو منعه العطاء نهائيًّا، وكذلك للتناسب مع الأفعال الواردة بصيغة الماضي في السياق (أفرأيت، تولى، أعطى)، ومناسبة فواصل الآيات.

بلاغة التعبير بالطباق بين ﴿وَأَعْطَىٰ﴾ و﴿وَأَكْدَىٰ﴾:

في قوله: ﴿وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰ﴾ طباقٌ بين فعلين متضادَّين، هما (أعطى) و(أكدى)، وفي هذا الطباق إظهارُ التناقض في سلوكِ

(1) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 128.
(2) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 128.

صاحب هذين الفعلين، فهو يعطي قليلًا رياءً أو لحاجةٍ وقتيَّةٍ، ثم يبخلُ فجأةً، فيظهرُ نفاقه وعدم ثباته، ممّا يثيرُ الاستهجان تجاه هذا المذكور؛ لأنَّه يبدأ بالعطاء، فيخدع الناس، ثم ينقلبُ إلى المنع، فتظهر حقيقته، وفي هذا تقريعٌ وتوبيخ ضمنيٌّ.

طـبـاقٌ يـبرزُ تناقضَ السلوك بـين الـعـطـاء والمـنـع ويـوحـي بنفاق صاحبه

بلاغة الاستعارة التصريحيَّة في قوله: ﴿وَأَكۡدَىٰٓ﴾:

في قوله تعالى: ﴿وَأَكۡدَىٰٓ﴾ استعارةٌ تصريحيَّة تبعيَّة؛ إذ شبَّه الذي قطع ذلك العطاء على قلَّته، بالحافر الذي يكدي، فيمسك عن الحفر؛ إذا وصل في حفره إلى كدية، أي: صفاة عظيمة شديدة، لا تعملُ فيها المعاول، فصار لا يقدرُ معها على شيء من علمه، ولا يستطيعُ النفوذ فيها بشيء من حيله، فيَئِسَ من الحفر، فكذلك الذي يعطي قليلًا، ثم يمسكُ عن العطاء[1]، وفي هذا التشبيه إشارةٌ إلى انقطاعه نهائيًّا عن العطاء، فلا يُعطي شيئًا، فكأنَّه أغلقَ باب الخير إلى الأبد.

فـي الاستـعـارة إشـــــارةٌ إلى انقطاعه نهائيًّا عـن الـعـطـاء، فكأنَّه أغلقَ باب الخير إلى الأبد

دلالة الاستئناف في: ﴿أَعِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلۡغَيۡبِ﴾:

جاءتْ جملة: ﴿أَعِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلۡغَيۡبِ﴾ استئنافًا بيانيًّا للاستفهام التَّعجُّبيِّ من قوله: ﴿أَفَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي تَوَلَّىٰ﴾[2]، أي: كأنَّ سائلًا يسأل عن سببِ هذا التعجيب من حال الوليد، وما وقع فيه من أمور لا يفعلها عاقلٌ بنفسه، فجاء الجواب مبيِّنًا ذلك بأنَّه لا يعلمُ الغيب.

جوابٌ عن سببِ التعجيب من حالِ الذي تولّى

الغرض من الاستفهام بالهمزة في: ﴿أَعِندَهُۥ﴾:

الاستفهامُ في قوله تعالى: ﴿أَعِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلۡغَيۡبِ﴾ إنكاريٌّ على تَوَهُّمِه أنَّ استِئجارَ أحَدٍ؛ ليَتَحَمَّلَ عَنهُ عَذابَ اللّه، يُنجيه مِنَ العَذابِ، وهو بمعنى النفي، أي: ما عِندَهُ عِلمُ الغَيبِ، وهَذا الخَبَرُ كِنايَةٌ عَن

استفهامٌ يحملُ التَّعجُّب والإنكار على خطأٍ ووهمٍ لا أصلَ له

(1) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 9/ 369، والهرري، حدائق الروح والريحان: 28/ 188.
(2) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 128.

خَطَئِهِ فيما تَوَهَّمَهُ، فكأنَّه يعلمُ الغيبَ، ويشاهدُ أنَّ ذلك يدفعُ عنه العقاب[1]، وفيه توبيخٌ وتقريعٌ له على توهُّمه هذا[2].

سرُّ التقييد بالظرف: (عنده) مضافًا إلى الضمير:

المبالغةُ في الاستنكار والتعجُّب من ادِّعاء الكافر بأنَّ علمَ الغيب مختصٌّ به

(عند) في قوله تعالى: ﴿أَعِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلۡغَيۡبِ﴾ ظرفُ مكانٍ، وهو مجازٌ، ويفيدُ الحضورَ والقرب، وقد أُضيفَ إلى الضمير (الهاء)؛ للإشارة إلى أنَّ علمَ الغيب مختصٌّ به وحده لا يشاركه فيه مشارك[3]، ممّا يجعلُ الاستفهامَ أبلغَ في الاستنكار والتَّهكُّم، والتعجُّب من ادِّعائه بأنَّ علم الغيب حاضرٌ عنده مختصٌّ به، والمعنى: أعند هذا المُدّعي علمُ الغيب، فهو يعلم ما غابَ عنه من أمرِ الآخرة، وما يكون من أمره حتى يضمنَ حَمْلَ العذاب عن غيره؟[4].

الغرض من الإضافة في: ﴿عِلۡمُ ٱلۡغَيۡبِ﴾:

في الإضافة تقييدٌ يكشفُ الافتراء على مقامِ الألوهية

الإضافة في ﴿عِلۡمُ ٱلۡغَيۡبِ﴾ إضافة بيانيَّة توضِّح المضاف وتقيِّده؛ إذ لفظ ﴿عِلۡمُ﴾ نكرة يدلُّ على العموم، فكان في إضافته إلى الغيب بيانٌ بأنَّ المراد علمٌ مخصوصٌ لا كل علم، وهو علمُ الغيب الَّذي لا يعلمه إلّا الله، وبلاغةُ هذه الإضافة في أنَّها تُظهرُ أنَّ المنكَر عليه في الآية لا يدَّعي مجرَّد العلم، بل يدَّعي اختصاصًا بعلمٍ لا يعلمه إلّا الله، وهو علمُ الغيب، وهنا تزدادُ شدَّةُ التوبيخِ والإنكار؛ لأنَّ دعوى هذا النوع من العلم افتراءٌ على مقامِ الألوهيَّة.

معنى اللام ودلالتها في: ﴿ٱلۡغَيۡبِ﴾:

المبالغةُ في تقريعِ مدَّعي الإحاطة الكاملة بالغيب

اللام في لفظ ﴿ٱلۡغَيۡبِ﴾ جنسيَّةٌ، أي: عنده علم الغيب كلِّه بحيث لا يشاركه في مشارك يمكن أن يخفى عليه شيء منه[5]، وهذا

(1) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 128.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 19/ 71، وحاشية الصاوي على تفسير الجلالين، ص: 1880.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 19/ 71.
(4) ابن عادل، اللباب في علوم الكتاب: 18/ 201.
(5) البقاعي، نظم الدرر: 19/ 71.

أبلغُ في التَّوبيخ؛ لأنَّه لا ينكرُ مجرَّد العلم ببعض الغيب، بل ادِّعاء الإحاطة التامَّة به، وهذا لا يليقُ إلّا بالله تعالى، والمعنى: هل عنده علمٌ بالأمورِ الغيبيَّةِ التي مِن جُملتها تحمُّلُ صاحبِه عنه يومَ القيامةِ، فيحكم، ويتكلم، وكأنَّه يرى كلَّ شيء؟.

الغرض من تقديم الظرف (عند) على المبتدأ ﴿عِلْمُ﴾:

في قوله تعالى: ﴿أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ﴾ قدَّم البيانُ الإلهي (عنده) – وهو مسند – على ﴿عِلْمُ ٱلْغَيْبِ﴾ – وهو مسند إليه – للاهتمام بهذه العندية العجيبِ ادِّعاؤها، والإشارة إلى بُعده عن هذه المنزلة[1].

في التقديم اهتمامٌ بالعنديَّة العجيب ادِّعاؤها

معنى الفاء ودلالتها في: ﴿فَهُوَ﴾:

الفاءُ في قوله تعالى: ﴿فَهُوَ يَرَىٰٓ﴾ للتَّفريع، أي: تفرَّع على هذا التعجيب (علمه الغيب) أنَّه يشاهدُ أمورَ الغيب، فهي داخلةٌ في حيِّز الاستفهام[2]، ويمكن أن تكون سببيَّة، تسبَّبَ عن ادِّعائه علمَ الغيب أنَّه يرى الغيب[3]، "أي: أعنده علمٌ بالأمورِ الغيبيَّة، فهو بسببِ ذلك يعلمُ أنَّ صاحبه يتحمَّل عنه يوم القيامة ما يخافه"[4]، فكأنَّ رؤيته نتيجةٌ حتميَّةٌ لادِّعائه علم الغيب.

الفاء بين التَّفريعِ والترتيبِ والسببيَّةِ

دلالة التعبير بالضمير (هو):

أتى البيان القرآني بالضَّمير (هو)، في قوله: ﴿أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ﴾، ولم يقلْ: (أعنده علم الغيب، فيرى)؛ وذلك لتقويةِ الحكم وإفادةِ التأكيد على ثبوتِ أنَّه يرى الغيب؛ ليكون في هذا مزيدٌ من التَّوبيخ على توهُّمه.

في التَّأكيد مزيدُ توبيخٍ على توهُّمه علم الغيب

دلالة التعبير بالمضارع ﴿يَرَىٰٓ﴾ والغرض من حذف المتعلَّق:

عبَّر النظم الحكيم بالفعل المضارع ﴿يَرَىٰٓ﴾، الذي يفيدُ الاستمرار

تصويرٌ يزيدُ من شناعةِ ادِّعاءِ فعلٍ خاصٍّ بالله تعالى

(1) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 128.
(2) حاشية الصاوي على تفسير الجلالين، ص: 1880، وابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 128.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 19/ 71.
(4) الآلوسي، روح المعاني: 14/ 65.

والتَّجدُّد؛ لإفادة أنَّ المذكورَ يزعمُ أنَّ الغيبَ منكشفٌ له في كلِّ وقت، فهو يراه رؤيةً مستمرَّةً متجدِّدة، كما أنَّ استعمالَ المضارع هنا يزيدُ من شناعةِ الادِّعاء المرفوض؛ لأنَّه يصوِّر صاحبَ هذا الظَّنِّ، كمن يدَّعي امتلاكَ قدرةٍ مستمرَّة على الاطِّلاع على الغيب، وهو أمرٌ خاصٌّ بالله تعالى.

والرُّؤية في قوله تعالى: ﴿فَهُوَ يَرَىٰٓ﴾ إمّا بصرية، و(رأى) البصريَّة تتعدّى إلى مفعول، ولكنَّه حُذِف هنا، والتقدير: فهو يرى الغيب[1]، والمعنى: "فهو يبصرُ ما خفي عن غيره ممّا هو غيب"[2]، ويمكن أن تكونَ الرُّؤية علميَّة، وحُذِف مفعولاها، والتقدير: علمَ أنَّه غير معذَّب بتحمُّل صاحبه عنه العذاب[3]، أو يرى الرؤيةَ الكاملة، فيعلمَ جميع ما ينفعه، فيرتكبه، وجميع ما يضرُّه، فيجتنبه، ويعلم أنَّ هذا القليل الذي أعطاه قد قُبِلَ، وأمن به من العطب، فاكتفى به[4]، وقد حُذف متعلِّق الرؤية؛ لدلالةِ المقام عليه[5]، وكذلك في حذف المفعول مراعاةٌ للفاصلة القرآنية.

الغرض من التقديم:

في قوله تعالى: ﴿أَعِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلۡغَيۡبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ﴾ قدَّم الضميرَ المسند إليه (هو) على فعله المسند ﴿يَرَىٰٓ﴾ دون أنْ يقول: (فيرى)؛ لإفادةِ تقوّي الحكم، نحو: هو يعطي الجزيل، وهذا التقوّي؛ بناءً على ما أظهرَ من اليقين بالصفقةِ التي عاقدَ عليها، وهو أدخلُ في التَّعجيب من حاله[6].

في التَّقديم تقويةٌ للحكم وزيادةٌ في التعجيب

(1) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 128.
(2) الآلوسي، روح المعاني: 14/ 65.
(3) الواحدي، التفسير البسيط: 21/ 65.
(4) البقاعي، نظم الدرر: 19/ 71.
(5) الهرري، حدائق الروح والريحان: 28/ 161.
(6) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 129.

بلاغة التعبير بالكناية في الآية:

الكنايةُ تجعلُ التَّوبيخَ والإنكارَ أكثرَ تأثيرًا من التصريح

في قوله تعالى: ﴿أَعِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلۡغَيۡبِ﴾ كنايةٌ عن ادِّعاء علم الغيب، وفي قوله: ﴿فَهُوَ يَرَىٰٓ﴾ كنايةٌ عن الزَّعم الكاذب بأنَّ الغيبَ مكشوفٌ له، كأنَّه يراه رأي العين، وبلاغةُ التعبير بالكناية يجعلُ الإنكارَ أشدَّ وقعًا من التصريح؛ لأنَّه يلبسُ ثوبَ التَّهكُّم المغلَّف بالاستفهام، ولإفادةِ الإيجاز، فلم يقلْ: (أيعلم ما لا يعلمه أحد؟)، أو (أيدَّعي ما لا يملك؟)، بل قال: ﴿فَهُوَ يَرَىٰٓ﴾، وهو أبلغُ وأقصر، ولإفادة تصوير المدَّعي، كأنَّه واقفٌ يرى الغيب رأيَ العين، وهو تصويرٌ ساخرٌ وإنكاريٌّ.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

التولّي والإعراض:

التولّي انصرافٌ كاملٌ وإدبار، والإعراضُ تجاهلٌ وعدمُ اكتراث

حَقيقَةُ التَّوَلّي: الإدبارُ والذهابُ والانصراف[1]، والتَّولّي إذا عُدّي بـ(عن) لفظًا أو تقديرًا؛ اقتضى معنى الإعراض وتركِ القرب[2]، بينما الإعراضُ تجاهلٌ وعدمُ اكتراث، أَعْرَضَ عَن فُلانٍ، وأَعْرَضَ بوَجْهِهِ: كأنَّه انحرفَ عنه، وولّاهُ عُرْضه، أي: جانبه، أو عارِضَه، ولّاهُ عَرْضَهُ: أدارَ ظهرَه له غيرَ مكترثٍ أو مهتمٍّ به، وصدَّ عنه، وتجاهله، وجفاه[3]، وقد ناسبَ هنا استعمال لفظ التَّولّي مع السياق الذي يصوِّر الكافرَ الذي انصرفَ عن الحقِّ انصرافًا كاملًا، وبخل بالعطاء، وانقطعَ عن الخير.

الإكداء والقطع والمنع:

الإكداءُ: هو قطعٌ نهائيٌّ ودائمٌ بعد عطاءٍ قليل، ومعنى أكدى:

(1) الزبيدي، تاج العروس، وأحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة: (ولى).
(2) السمين الحلبي، عمدة الحفاظ: 4/ 343، والكفوي، الكليات، ص: 28.
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة، ومحمد جبل، المعجم الاشتقاقي، وأحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة: (عرض).

منعَ منعًا شديدًا، وأمسكَ عن العطاء، وهو كنايةٌ عن البخل[1]؛ إذ أصلُ المعنى صَلابَةٌ تَكونُ في الأرْضِ، يُقالُ: حَفَرَ، فأكْدَى، إذا وصَلَ إلى الكُدْيَةِ، واستُعير ذلك للطالب المخفق، والمعطي المقلِّ، يُقالُ لِلرَّجُلِ؛ إذا أعْطَى يَسيرًا، ثُمَّ قَطَعَ: أكْدَى، شُبِّهَ بالحافِرِ يَحْفِرُ، فيُكْدي، فيُمْسِكُ عَنِ الحَفْرِ[2]، بينما القطعُ أعمُّ من الإكداء؛ إذ القطعُ هو الفصلُ بين الأشياء سواء المحسوسة أو المعقولة، ويدلُّ في أصله على صَرْمٍ وإبانَةِ شَيءٍ مِن شَيءٍ[3]، وقد يكون هذا القطعُ مؤقَّتًا أو دائمًا، وأمّا المنعُ؛ فهو خِلافُ الإعْطاءِ، ومَكانٌ مَنيعٌ: هو في عزٍّ ومنعةٍ[4]، تقولُ: مَنَعْتُه، أي: حُلتُ بينه وبين إرادته[5]، وقد يكون هذا المنعُ ابتدائيًّا، أي: لا يشترطُ أن يسبقه عطاء، ولهذا استُعمِلَ لفظُ أكدى؛ لكونه أبلغَ في الذَّمِّ، وأنسبَ للسياق الذي يصوِّر حالةَ الكافر المعرضِ عن الحقِّ، الذي بدأ بخيلًا، فأعطى قليلًا، ثم انقطعَ نهائيًّا عن العطاء، فلا يُعطي شيئًا، فكأنَّه أغلقَ باب الخير إلى الأبد.

المعرضُ عن الحقِّ الذي أعطى قليلًا، ثم انقطعَ نهائيًّا، كأنَّه أغلقَ باب الخير إلى الأبد

(1) ابن منظور، لسان العرب: (كدا)، والواحدي، التفسير البسيط: 21/ 64.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة، والراغب، المفردات: (كدى).
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والراغب، المفردات: (قطع).
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (منع).
(5) الخليل، العين: (منع).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثامن والخمسون،
سورة الطُّور من الآية 25 إلى سورة الرَّحمن الآية 30
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثامن والخمسون، سورة الطُّور من الآية 25 إلى سورة الرَّحمن الآية 30
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 58 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-647-62-1
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 58 : المجلد الثامن والخمسون، سورة الطُّور من الآية 25 إلى سورة الرَّحمن الآية 30.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-647-62-1
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4238337 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"